آداب بينات من سورة الحجرات "دراسة تفسيرية"

Etiquette of Evidence from Surat Al-Hujurat
"An Interpretive Study"

✍ إعداد الدكتور

نواف مزيد حسن السريحي

Nawaf Mazeed Hassan Al-Suraihi

دكتور منتدب في كلية التربية الأساسية قسم الدراسات الإسلامية
في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي،
ودكتور في إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

nawaf_.10@hotmail.com

آداب بينات من سورة الحجرات "دراسة تفسيرية"

نواف مزيد حسن السريحي
قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية الأساسية – الهيئة العامة للتعليم التطبيقي – دولة الكويت.
البريد الالكتروني: nawaf_.10@hotmail.com

الملخص :

يتضح لنا من هذه الدراسة خطورة التقدم بين يدي الله ورسوله، وأن صور هذا التقدم ليست محصورة في معنى دون آخر، بل هو شامل لكل ما يمكن أن نطلق عليه تقدما، حسا أو معنى، وأشد أنواع التقدم بين يدي الله ورسوله، وكذلك الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دين يجب أن يلتزم به المسلم في حياة رسول الله، صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، وقد رسمت لنا هذه السورة شيئا من ذلك، كما لا يمكن أن تستقيم الحياة وتصفو من أكدارها إلا بالتقوى، ولن يحقق المرء مراد ربه إلا إذا تعاهد قلبه وأخلصه لله، وقد رأينا عناية هذه السورة بالقلوب وتقواها، تصريحا وإيماء، عبارة وإشارة.

الكلمات المفتاحية : الأحكام الشرعية – الآداب البينات – الوحدة الموضوعية – سورة الحجرات – دراسة تفسيرية.

Etiquette of Evidence from Surat Al-Hujurat "An Interpretive Study"

Nawaf Mazeed Hassan Al-Suraihi
Department of Islamic Studies - College of Basic Education - Public Authority for Applied Education - State of Kuwait.
E-mail: nawaf_.10@hotmail.com

Abstract :

From this study it becomes clear to us the seriousness of progress between the hands of God and His Messenger, and that the images of this progress are not limited to one meaning without another, but rather it is inclusive of everything that we can call an advance, a sense or a meaning, and the most severe form of progress between the hands of God and His Messenger, is judgment without what God has sent down, and it is a disbelief that its owner may leave the religion if there are reasons and the barriers are removed, as well as literature with the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, is a religion that a Muslim must adhere to in the life of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace and after his death, and this surah has drawn for us something of That is, just as life cannot be straightened and clear of its misfortune except by piety, and a person will not achieve the goal of his Lord unless he pledges his heart and sincerely to God, and we have seen the care of this surah in hearts and piety, as a statement and a gesture, a phrase and a sign.

Keywords: Sharia rulings - evident ethics - objective unit - Surat Al-Hujurat - an explanatory study.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق ونبي الحق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فتعد سورة الحجرات إحدى سور القرآن الكريم المدنية وسوف أتناولها، بنظرة وكأنها نزلت هذا اليوم، تعالج قضايانا، وتعايشنا في شئوننا وشجوننا، وتهدي أمتنا الحائرة، وتعيدها إلى رشدها وسبيل نجاتها ولن أستطيع أن أحقق ذلك إلا بالالتزام بأمرين:

أحدهما: أن أنطلق في تفسيرها من منطلق سلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – في فهم آياتها، وبيان معانيها، وإدراك مدلولاتها، وعدم تحميل الآيات ما لا تحتمل .

ثانيهما: ربط الواقع الذي نعيشه بمدلولاتها، وتنزيل الأحوال في مواضعها، وتقويم اعوجاج حاضرنا في ضوء هداياتها وأنوارها، وأن ندرك أن الترقيع لا يفيد، فقد اتسع الخرق على الراقع، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولم يصلح أولها إلا في الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم بدءا وانتهاء، وهو ما سأحاول تجليته وبيانه، ليكون منهجا للسائرين، ونبراسا للحائرين، وحجة على المخالفين والمعاندين، والله يتولى الصالحين.

أسباب وأهمية اختيار الموضوع

تتلخص أسباب اختاري لهذا البحث في إبراز قيمة الأحكام الشرعية المتعلقة بسورة الحجرات ومدى ارتباطها بالواقع المعيش وأهمية بيانها .

منهج البحث

فقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي لآيات سورة الحجرات وتفسيرها وما يتعلق بها من أقوال وآراء المفسرين .

الدراسات السابقة

على حد بحثي وعلمي لم أجد سوى بعض المقالات أو الأبحاث التي ذكرت أحكامها عابرة ولم تتطرق لأحكامها تأصيلا .

خطة البحث

يتضمن البحث مقدمة وتمهيدا ومبحثين وخاتمة، كالتالي:

التمهيد: وهو بعنوان: أسباب نزول سورة الحجرات .

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية للسورة .

المبحث الثاني: الأحكام الشرعية المتعلقة بسورة الحجرات .

الخاتمة: وتتضمن أهم ما ستتوصل إليه الدراسة .

تمهيد

أسباب نـزول سورة الحجرات

إن سورة الحجرات نزلت بالمدينة، وقد ذكر ابن كثير أنها في السنة التاسعة من الهجرة، فهي مدنية [١]، وعدد آياتها ثمانية عشر آية.

وهناك عدة أسباب لنزول هذه السورة، حيث أن بعض الآيات ورد فيها أكثر من سبب من أسباب النزول.

أسباب النـزول:

وجمعا بين الاختصار والشمول، وتحاشيا للسرد والتطويل، فسأذكر مجمل الأسباب التي وردت في كل آية إن كان لها سبب نزول [٢] ومتعدد، ثم أذكر أرجحها كاملا حسب ما يظهر لي، مع التنبيه إلى ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: قولهم: نزلت الآية في كذا، يراد به تارة سبب النزول ويُراد به تارة أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب كما تقول: عني بهذه الآية كذا.

وقال القاسمي تعقيبا على كلام شيخ الإسلام: وبه يجاب عما يرويه كثير من تعدد سبب النزول، فاحفظه فإنه من المضنون به على غير أهله. والله أعلم.

وقال أيضا: قولهم: نزلت الآية في كذا، قد يكون المراد به الاستشهاد على أن مثله مما تتناوله الآية، لا أنه سبب نزولها [٣]

وعندما أرجح أن هذا هو سبب النزول فإني أعني به السبب المباشر لنزولها، لا ما تشمله الآية، وكذلك عندما أضعف بعض الأقوال فإني أقصد أنه ليس هو السبب المباشر، لا أن الآية لا تشمله، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

١ – انظر: تفسير ابن كثير ٤–٢٠٧.

٢ – كل آية في القرآن لها سبب نزول، ولكن السبب إما أن يكون عاما أو خاصا، والمراد هنا السبب الخاص.

٣ – انظر: تفسير القاسمي ١٥–١١٤.

قوله – تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)** (الحجرات: من الآية١).

ورد في سبب نزولها أربعة أقوال:

١- أنها نزلت في أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما- عند قدوم وفد بني تميم [١]، وهذا القول فيه نظر؛ لأن الذي نزل في أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما- الآية التي بعدها.

ولكن يمكن حمل هذا القول على أن هذه الآيات نزلت جميعا، فكان من أسباب نزولها جملة قصة أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما-، وهو ما يفهم من حديث البخاري في الصحيح كما سيأتي.

٢- أن قوما ذبحوا قبل أن يصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا الذبح، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن [٢]

٣- أنها نزلت في قوم كانوا يقولون: لو أنزل الله في كذا وكذا، فكره الله ذلك، وقدم فيه، قاله قتادة [٣].

٤- أنها نزلت في عمرو بن أمية الضمري، وكان قد قتل رجلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن السائب [٤].

ويصعب الجزم بأحد الأقوال، إلا أن قول قتادة قوي، وكذلك القول الأول حسب التوجيه الذي ذكرت، مع أنني ألمس ضعفا في القولين الثاني والرابع.

---

١ – انظر: زاد المسير ٧-٤٥٤، وذكر فيه أثرا عن ابن الزبير، وهو من رواية ابن مردويه عنه.

٢ – انظر: تفسير الطبري ٢٦-١١٧، وزاد المسير ٧-٤٥٤.

٣ – انظر: تفسير الطبري ٢٦-١١٧، وزاد المسير ٧-٤٥٤، وتفسير ابن كثير ٤-٢٠٥.

٤ – انظر: زاد المسير ٧-٤٥٥.

قوله – تعالى –: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)** (الحجرات: من الآية٢).

ورد في سبب نزولها قولان:

١– أنها نزلت في أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – في قصة بني تميم[١].

٢– أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان جهوري الصوت، فخشي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتأذى بصوته، فأنزل الله الآية. قاله مقاتل وغيره [٢]. والقول الثاني ضعيف، لأن ثابت بن قيس ظن أن الآية فيه، فاستدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزال عنه هذا الظن، بل بشره بالجنة، وفي بعض الروايات بشره بالشهادة، ولذا فإن ثابتا – رضي الله عنه – وإن خاف أن الآية نزلت فيه، فإنه أيقن بعد ذلك أنه ليس هو المراد وأيضا جهورية صوته خلقة لا تعمدا.

والقول الصحيح أنها نزلت في أبي بكر وعمر–رضي الله عنهما–، للآثار الصحيحة الواردة في ذلك.

قال البخاري: حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي، حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: "كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر – رضي الله عنهما –: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)** (الحجرات: من الآية٢).

---

١ – انظر: تفسير الطبري ٢٦–١١٩، وزاد المسير ٧–٤٥٦، وتفسير ابن كثير٤–٢٠٦.

٢ – انظر: تفسير الطبري ٢٦–١١٨، وتفسير ابن كثير ٤–٢٠٦.

قال ابن الزبير. رضي الله عنه –: "فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه – يعني أبا بكر رضي الله عنه – " قال ابن كثير: انفرد به البخاري [1].

وفي رواية أخرى للبخاري قال: حدثنا حسن بن محمد، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير. رضي الله عنهما. أخبره أنه "قدم ركب من بني تميم على النبي – صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر. رضي الله عنه –: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله عنه بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر رضي الله عنه ما أردت إلا خلافي، فقال عمر رضي الله عنه ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)** (الحجرات: من الآية١).حتى انقضت الآية: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ)** (الحجرات: من الآية٥)" قال ابن كثير: وهكذا رواه منفردا به أيضا [2].

وبهذين الحديثين يتضح أن سبب النزول قصة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –.

٣– قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ)** (الحجرات: من الآية٣) قال ابن عباس – رضي الله عنهما – :لما نزل قوله: **(لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ)**(الحجرات: من الآية٢) تألّي[3] أبو بكر ألا

١ – أخرجه البخاري في صحيحه، ك/ التفسير، ب/لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، جـ١٣٧/٦ رقم الحديث٤٨٤٥. وانظر: تفسير ابن كثير (٤–٢٠٦).

٢ – صحيح البخاري، ك/ الاعتصام، ب/ما يكره من التعمق والتنازل في العلم، جـ٩٧/٩ رقم الحديث٧٣٠٢، وانظر: تفسير ابن كثير (٤–٢٠٦).

٣ – أي: آلى على نفسه، أي: حلف عليها.

يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار، فأنزل الله في أبي بكر: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ)(الحجرات: من الآية٣)[1].

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ)(الحجرات: من الآية٤) في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

الأول: "أن بني تميم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحنا زين، وإن ذمنا شين، فخرج وهو يقول: إنما ذلكم الله فقالوا: نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك. فقال: ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت، ولكن هاتوا. فقال الزبرقان بن بدر لشاب منهم: قم فاذكر فضللك وفضل قومك فقام فذكر ذلك، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس فأجابه، وقام شاعرهم، فأجابه حسان، فقال الأقرع بن حابس: والله ما أدري ما هذا الأمر، تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا، وتكلم شاعرنا، فكان شاعرهم أشعر، ثم دنا فأسلم، فأعطاهم رسول

١ – انظر: زاد المسير ٧–٤٥٧، وقد ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢١٩ بغير سنده، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق طارق بن شهاب عن أبي بكر قال: لما نزل (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم). الآية قلت: يا رسول الله! آليت ألا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله، قال: وأخرجه الحاكم والبيهقي في المدخل من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت: (الذين يغضون).الآية، قال أبو بكر: والذين أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل، وقال صحيح على شرط مسلم. انظر: تخريج أحاديث الكشاف، تفسير سورة الحجرات (٤–٣٥٢)، والمستدرك (٢–٤٦٢)، ومجمع الزوائد (٧–١١١)، قال الهيثمي عن إسناد البزار: وفيه حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك، وقد وثقة العجلي، وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ.

الله صلى الله عليه وسلم وكساهم، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية." هذا قول جابر بن عبد الله وآخرين [١].
وقال ابن إسحاق: نزلت في جفاة بني تميم، وكان فيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم المنقري وغيرهم [٢].

وقال ابن كثير: ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن الأقرع بن حابس "أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد يا محمد، وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال ذاك الله عز وجل"[٣].
الثاني: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى بني العنبر، وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالهم يفدون الذراري، فقدموا وقت الظهيرة ورسول الله صلى الله

١ – رواه الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢٠ مطولا، من رواية معلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن عمر بن الحكم عن جابر، وفي سنده معلى الواسطي ضعفه الدارقطني وغيره، وانظر: زاد المسير ٧–٤٥٨. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦–٩٠) وعزاه لابن إسحاق، وابن مردويه عن ابن عباس.
٢ – انظر: زاد المسير ٧–٤٥٨، وأسباب النزول ٢١٩ فقد ذكره عن ابن إسحاق بدون سند.
٣ – انظر: تفسير ابن كثير (٤–٢٠٧)، ومسند الإمام أحمد، مسند المكيين، حديث الأقرع بن حابس، جـ٣٦٩/٢٥ رقم الحديث١٥٩٩١، حكم الحديث: إسناده ضعيف لانقطاعه، قال الهيثمي في المجمع (٧–١١١):رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع، وإلا فهو مرسل كإسناد أحمد الآخر. قال السيوطي في الدر المنثور(٦–٨٩):أخرجه أحمد وابن جرير، وأبو القاسم البغوي وابن مردويه والطبراني بسند صحيح.

عليه وسلم قائل، فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية" قاله ابن عباس [١].

الثالث: "أن ناسا من العرب قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، إن يكن نبيا نكن أسعد الناس به، وإن يكن ملكا نعش في جناحه، فجاءوا فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد، فنزلت هذه الآية." قاله زيد بن أرقم [٢].

والذي يترجح لديّ أن السبب الأول هو الصحيح، أي أنها نزلت في وفد بني تميم، ومناداتهم للرسول صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات.

أما القول الثاني فهو ضعيف.

أما الثالث: فلعله يمكن حمله على بني تميم، فتتحد القصة مع تعدد الروايات.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(الحجرات: من الآية٦).

هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط كما قال جمهور المفسرين.

وقد ورد في ذلك عدة آثار من طرق مختلفة من أحسنها – كما قال ابن كثير.: ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار، والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين – رضي الله عنها – قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي سابق، حدثنا عيسى بن دينار، حدثني أبي أنه سمع الحارث ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول:

---

١ – انظر زاد المسير (٧–٤٥٩). قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٤–٣٥٨): أخرجه ابن مردويه من رواية ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس اهـ. وهذا إسناد تالف والكلبي متهم.

٢ – انظر: تفسير الطبري (٢٦–١٢١)، وذكره السيوطي في الدر (٦–٨٩) وحسنه وزاد نسبته لابن راهويه ومسدد وأبي يعلى والطبراني وابن أبي حاتم عن زيد بن أرقم . رضي الله عنه . وانظر زاد المسير ٧–٤٥٩.

"قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله، أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي دفعت زكاته، وترسل إلى يا رسول الله إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول، ولم يأته، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله – تعالى – ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده، مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق – أي خاف – فرجع حتى أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله! إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسوله الله صلى الله عليه وسلم وبعث إلى الحارث رضي الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه، حتى إذا استقبل البعث، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث، فلما غشيهم قال: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم ؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، ما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(الحجرات: من الآية٦) إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾(الحجرات: من الآية٨)"[1].

---

١ – المسند، مسند الكوفيين، حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، جـ٣٠/٤٠٣ رقم الحديث١٨٤٥٩، حكمه: حسن بشواهده دون قصة إسلام الحارث بن ضرار وهذا =

قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث: وذكر بعده عدة روايات.

وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان، والضحاك، ومقاتل ابن حيان وغيرها في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة،والله أعلم [1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾(الحجرات: من الآية٩).

في سبب نزول هذه الآية قولان:

الأول: في قصة ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي، فركب حمارا وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت فيهم: **(وإن طائفتان)**" [2]. [سورة الحجرات،الآية:٩].

=إسناد ضعيف، وانظر: تفسير ابن كثير (٤-٢٠٨)قال السيوطي في الدر المنثور (٦-٩١): أخرجه أحمد وابن حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه بسند جيد. وقال الهيثمي في المجمع (٧-١١٢)، ورجال أحمد ثقات.

١ - انظر: تفسير ابن كثير(٤-٢١٠)، وتفسير الطبري (٢٦-١٢٣)، وأسباب النزول (٢٢٢)، وزاد المسير (٧-٤٦٠).

٢ - رواه البخاري في صحيحه، ك/ الصلح، ب/ما جاء في الإصلاح بين الناس، جـ١٨٣/٣ رقم الحديث٢٦٩١، ومسلم في صحيحه، ك/الجهاد والسير، ب/في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله، جـ١٨٣/٥، رقم الحديث ١٧٩٩، ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٦-١٢٨ وانظر: زاد المسير ٧-٤٦٢، والدر المنثور٦-٩٠ نسبه السيوطي لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أنس . رضي الله عنه ..

وقد وردت رواية أخرى عن أسامة بن زيد وهي قريبة من هذه [1].

القول الثاني: أنها نزلت في رجلين من الأنصار كان بينهما مماراة في حق بَيْنَهُمَا، فقال أحدهما: لآخذن حقي عنوة، وذلك لكثرة عشيرته، ودعاه الآخر ليحاكمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل الأمر بينهما حتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال.

وهذا القول لقتادة [2].

والقول الأول هو الأظهر والأرجح لثبوته في الصحيحين وغيرهما.

أما الثاني فقد قال قتادة: ذكر لنا، ثم ساقة كما هو في الدر المنثور.

قوله – تعالى–: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ)** (الحجرات: من الآية١١) وقد ذكر العلماء لنزولها سببين:

الأول: "أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوما يريد الدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: أفسح، فقال له الرجل: قد أصبت مجلسا، فجلس مغضبا، ثم قال للرجل: من أنت، قال: أنا فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية، فأغضى الرجل ونكس رأسه، ونزل قوله تعالى: **(لا يسخر قوم من قوم)**.[سورة الحجرات،الآية:١١]." قاله صالح عن ابن عباس [3].

---

١ – صحيح مسلم، ب/في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله، جـ٥/١٨٣، رقم الحديث١٧٩٨.

٢ – انظر: زاد المسير ٧–٤٦٣ وذكره السيوطي في الدر ٦–٩٥ من رواية عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

٣ – انظر زاد المسير ٧–٤٦٥ وقد ذكره الواحدي في أسباب النزول (٢٢٣) بغير سند ولم يعزه لأحد، وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند. انظر: تخريج أحاديث الكشاف، سورة الحجرات (٤–٣٧٠).

والثاني: "أن وفد تميم استهزءوا بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا رثاثة حالهم، فنزلت هذه الآية" قاله الضحاك ومقاتل [١]

وهذان السببان ضعيفان، وسأرجح ما أراه في آخر هذه الآية.

قوله تعالى: (**وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ**)(الحجرات: من الآية١١) ذكر بعض المفسرين ثلاثة أقوال في سبب نزولها:

الأول: "أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر، فنزلت هذه الآية" قاله أنس بن مالك [٢].

الثاني: وهو قريب من الأول وفي معناه [٣]

الثالث: "أن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن النساء يعيرنني ويقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت: إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد، فنزلت هذه الآية" رواه عكرمة عن ابن عكرمة عن ابن عباس [٤].

وهذه الأسباب ضعيفة، لضعف أسانيدها.

قوله تعالى: (**وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**)(الحجرات: من الآية١١).

في نزولها ثلاثة أقوال:

الأول: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولهم ألقاب يدعون بها، فجعل الرجل يدعو الرجل بلقبه، فقيل له يا رسول الله: إنهم يكرهون هذا

---

١ – ذكرها البغوي والخازن عن الضحاك بغير سند، وأورده السيوطي في الدر٦–٩٧من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل، وانظر: زاد المسير ٧–٤٦٦.

٢ – ذكره البغوي والواحدي والخازن بغير إسناد، وانظر: زاد المسير ٧–٤٦٦.

٣ – انظر: زاد المسير ٧–٤٦٦وقد ذكره بعض المفسرين بلا إسناد.

٤ – ذكره الواحدي في أسباب النزول والبغوي في تفسيره عن عكرمة عن ابن عباس بلا إسناد، وانظر: زاد المسير ٧–٤٦٦.

فنزل قوله تعالى: **(وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ)**.[سورة الحجرات،الآية:١١]" قاله أبو جبيرة بن الضحاك[١].

الثاني: أن أبا ذر كان بينه وبين رجل منازعة، فقال له الرجل: يا ابن اليهودية فنزلت، قاله الحسن[٢] .

الثالث: أن كعب بن مالك الأنصاري كان بينه وبين أبي عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي كلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله يا يهودي، فنزلت فيهما الآية، قاله مقاتل [٣].

قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)**(الحجرات: من الآية١٣) في نزولها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها نزلت في ثابت بن قيس وفي الرجل الذي لم يفسح له، حيث قال ثابت: أنت ابن فلانة [٤].

الثاني: أنها نزلت في قوم تكلموا في بلال، وعيروه عندما أذن يوم الفتح فوق ظهر الكعبة. قاله مقاتل وابن أبي مليكة[٥].

---

١ – أخرجه أحمد (٤–٦٩)،(٥–٣٨٠). وأبو دواد (٤–٢٩٠، ٢٩١) كتاب الأدب رقم (٤٩٦٢). وابن ماجه (٢–١٢٣١) كتاب الأدب رقم (٣٧٤١).والترمذي (٥–٣٦٢)كتاب التفسير، رقم (٣٢٦٨)، قال الترمذي: حسن صحيح، والحاكم (٢–٤٦٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وانظر: تفسير الطبري (٢٦–١٣٢)، والدر المنثور(٦–٩٧)،وزاد المسير (٧–٤٦٧)، وتفسير ابن كثير (٤–٢١٢).

٢ – انظر: زاد المسير (٧–٤٦٧).

٣ – نظر: زاد المسير (٧–٤٦٧).

٤ – قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٤–٣٧٠):"ذكره الثعلبي من تبعه عن ابن عباس بدون إسناد"، وكذلك ذكره غير واحد بدون إسناد، وانظر: زاد المسير ٧–٤٧٣.

٥ – ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦–١٠٧) وعزاه: لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن أبي مليكة، انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤–٣٢٨)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧–٤٧٣)، والواحدي في أسباب النزول (٢٢٤) عن مقاتل.

الثالث: "أن عبدا أسود مرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قبض فتولي غسله وتكفينه ودفنه، فأثر ذلك عند الصحابة، فنزلت هذه الآية" قاله يزيد بن شجرة [١].

وكل هذه الآثار ضعيفة، فلا يجزم بأي واحد منها.

قوله تعالى: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا)** (الحجرات: من الآية١٤) جمهور المفسرين على أن هذه الآية نزلت في أعراب بني أسد، حين قدموا المدينة، وامتنوا بإسلامهم وقالوا آمنا. وكانوا يمنون على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويقولون: أتيناك بالأنفال والعيال ولم نقاتلك، فنزلت الآية كما قال مجاهد وغيره [٢].

وقال السدي: نزلت في أعراب مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، حيث كانوا يدعون الإيمان ولما استنفرها رسول الله، صلى الله عليه وسلم في الحديبية تخلفوا فنزلت [٣]، والراجح هو الأول، قال ابن كثير: والصحيح الأول [٤].

---

١ – قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٤–٣٧٥): ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند، وانظر: زاد المسير(٧–٤٧٣).

٢ – أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد، انظر: تفسير الطبري ٢٦–١٤١، وزاد المسير ٧–٤٧٦، وتفسير ابن كثير ٤–٢١٩، والدر المنثور(٦–١١١).

٣ – انظر: زاد المسير ٧–٤٧٦، وذكره البغوي والخازن عن السدي بغير إسناد، انظر: معالم التنزيل للبغوي(٤–٢١٨).

٤ – تفسير ابن كثير ٤–٢١٩.

المبحث الأول
الوحدة الموضوعية للسورة

إن النظرة العاجلة في السورة، قد توحي لصاحبها أن هذه السورة قد اشتملت على عدة موضوعات متفرقة، ولكن النظرة المتأنية الواعية تصل بصاحبها إلى أن السورة تتناول موضوعا واحدا، تتفرع عنه عدة موضوعات مترابطة، حيث تجد التجانس والتلاحم يجمع بين أولها وآخرها ويؤكد ذلك وسطها.

إننا نلمس الوحدة الموضوعية للسورة من خلال معالجتها لقضايا أساسية في المجتمع المسلم، وفي مقدمتها موضوع الإيمان، الذي هو الأساس الذي جاءت من أجله السورة، ومن ثم جاءت الموضوعات الأخرى متفرعة عنه وموصلة إليه، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: بناء الإيمان، وتصحيح المفهوم الخاطئ حوله عند بعض المسلمين، وخلطهم بين الإسلام والإيمان.

وهذه القضية تبرز في أول السورة كما في آخرها، بل في كل آية من آياتها وكل مقطع من مقاطعها.

إن الإسلام قد اتضحت معالمه، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

أما الإيمان بمفهومه الدقيق، ومستلزماته العملية، فإنه لا يزال بحاجة إلى مزيد بيان وجلاء، ولولا ذلك لما قالت الأعراب ما قالت، ولا غرو في ذلك [1].، فإن الدين لم يكتمل إلا في حجة الوداع.

وتبرز هذه الحقيقة إذا علمنا أن السورة نزلت متأخرة، بل في آخر العهد المدني، وقبل حجة الوداع. وإنني ألمس هذا الجانب في أول كلمة في السورة، عندما يناديهم الله – جلا وعلا – بـ **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)** (الحجرات: من الآية١) وقد تكرر هذا النداء عدة مرات، حيث أجد أنه في كل آية بدأت بهذا النداء ينبه

١ – أي لا غرو في عدم اكتماله لا في ما حدث من الأعراب.

إلى خصلة تنافي الإيمان، ولا يليق أن تقع مع المؤمن، وكأنه يقول إنكم مؤمنون ولكن ما يقع منكم يؤثر في إيمانكم، بل قد يكون سببا لذهاب الإيمان **(أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)** (الحجرات: من الآية٢) وقد تكرر هذا النداء خمس مرات في هذه السورة.

ففي المرة الأولى: ينهاهم عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والتقدم قد يكون محبطا للعمل، ومذهبا لِلإِيمَانِ.

وفي الثانية: ينهى عن رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم – ويبين أن هذا خطير على إيمان صاحبه **(أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)** (الحجرات: من الآية٢).

وفي الثالثة: يأمر بالتثبت، فإن العجلة تضعف الإيمان وتؤثر فيه **(فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** (الحجرات: من الآية٦)، **(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)** (الحجرات: من الآية٧).

وفي الرابعة والخامسة ينهي عن بعض الخصال، التي لا يليق أن تصدر من المؤمن **(بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** (الحجرات: من الآية١١)، **(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ)** (الحجرات: من الآية١٢) وهل يجتمع كمال الإيمان، وأكل لحم الميتة – إلا في الضرورة – فكيف إذا كان هذا الميت إنسانا، وأبشع من ذلك أنه أخوه.

أرأيتم كيف جاء النداء باسم الإيمان وسيلة لتصحيح مساره، وتقويم اعوجاجه، وإكمال نقصه في نفوس بعض أُولَئِكَ الذين ناداهم باسم الإيمان، وكأنه يقول: يا مؤمنون هل هذا من الإيمان ؟ وبناء الإيمان في هذه السورة يأتي بأسلوب آخر – أيضا – بل بأساليب أخر فمن ذلك:

١– أنه لما دعاهم باسم الإيمان إلى التثبت، ونهى عن العجلة، بين لهم مكانة وأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم **(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)** (الحجرات: من الآية٧) بعد ذلك كله يلفت لفتة إيمانية عجيبة **(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)** (الحجرات: من الآية٧) أي دعوة لِلإِيمَانِ

أقوى من هذه الدعوة، أرأيتم كيف يعرض الإيمان مزينا محَبَّبًا، هل يستطيع مؤمن أن يقاوم هذا الإغراء، وينصرف عن هذا التحَبَّبَ.

وفجأة ينقلنا نقلة أخرى عميقة في مدلولها، مجلجلة في إيقاعها **(وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)** (الحجرات: من الآية٧) ثم يشير إشارة – باسم الإشارة للبعيد – **(أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)** (الحجرات: من الآية٧) والرَّاشِدُونَ هم المؤمنون.

والإشارة للبعيد لها مغزاها وأثرها في النفس، وخلجات الضمير، وكأنه يعرض لنا الإيمان بالسهل الممتنع، وكأنه قريب بعيد.

٢- ويستمر في عرض الإيمان وبنائه بالأساليب المتعددة المؤثرة، فبعد أن ذكر ما يجب في حال اقتتال طائفتين من المؤمنين، استأنف فقال:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: من الآية١٠) وهل يليق بالمؤمن أن يقاتل أخاه، بل هل يليق بالمؤمن أن يرى اقتتال إخوته ويقف موقفا سلبيا **(فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا)** (الحجرات: من الآية١٠) وإنني أرى في هذه الآية، ليس مجرد الدعوة للقيام بالصلح، بل وتصحيح لمسار الإيمان ومفهومه عند كثير من المسلمين، وكأن السلبية والإيمان لا يجتمعان .

٣- ويأتي ختام هذه السورة، مصرحا بالحقيقة التي بدأها، بل ومحددا لهذا المفهوم، ومستنكرا وضع الأمور في غير مواضعها، وتسمية الأشياء بغير مسمياتها **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)** (الحجرات: من الآية١٤) ثم يحسم القضية حسما لا جدال بعده ولا لبس فيه: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)** (الحجرات:١٥) حصر وتأكيد، ثم إزالة لأي لبس أو تشكيك **(أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)** (الحجرات: من الآية١٥) فهم الصَّادِقُونَ وحدهم.

٤- وأجد من المناسب أن أشير إلى أن لفظ الإيمان بتصاريفه المتعددة، قد ورد في هذه السورة خمس عشرة مرة مع أن آياتها لا تتجاوز ثمان عشرة آية، فعلام يدل ذلك؟ وحاشا لله أن يأتي حرف في كتابه عبثا أو حشوا.

٥- وأخيرا فإن آخر آية ورد فيها لفظ الإيمان، وهي الآية قبل الأخيرة من هذه السورة جاءت بدلالة مؤثرة **(بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ)** (الحجرات: من الآية١٧) أليست هذه السورة من أولها إلى آخرها هداية لِلإِيمَانِ، بل إن ختام السورة **(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** (الحجرات:١٨) ومن حقيقة الإيمان أن نعلم ونؤمن ونوقن أن الله يعلم غيب السماوات والأرض، وأنه بصير بما نعلم وما نعمل، أليس من الإيمان أن نؤمن بالله..؟ أليس من الإيمان بالله أن نؤمن بالغيب؟ ومن الإيمان بالغيب أن نؤمن أن الله يعلم غيب السماوات والأرض، وأنه بصير بعملنا وما تخفي سرائرنا، وأنه لا تخفى عليه خافية. ألم أقل إن كل آية في هذه السورة تضع لبنة في بناء الإيمان في قلب المسلم؟! وهنالك يصبح مسلما مؤمنا، بل ومحسنا تقيا.

ثانيا: ومن معالم الوحدة الموضوعية في هذه السورة أنها جاءت لمعالجة كثير من الأخطاء، التي يقع فيها المجتمع المسلم، بل تكاد أن تكون متخصصة في ذلك. فما من مقطع من مقاطعها إلا وهو يعالج قضية من تلك القضايا، وخطأ من هذه الأخطاء. ولا أعلم سورة من سور القرآن جاءت مستقلة في هذا الشأن، نعم جاءت آيات في كثير من السور تعالج بعض الظواهر في المجتمع المسلم، لكنها ضمن آيات أخر لموضوعات أخرى.

أما هذه السورة، فكل مقاطعها في هذا الشأن ابتداء وانتهاء. بل لم يأت أي مقطع لبيان حكم تشريعي ابتداء، كحكم الصيام أو الصلاة أو الحج، أو غيرها مما هو موجود في آيات وسور كثيرة. ونظرة إلى أسباب النزول التي سبق ذكرها تجلي هذه الحقيقة. وإتماما للفائدة وإيضاحا لهذا الأمر نقف مع آياتها ومقاطعها:

فالآية الأولى: في النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وقد وقع.

والآيتان (٢، ٣): في قضية رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وقد حدث من الخيرين.

والآيتان (٤، ٥): في موضوع مناداة الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات، وعدم الانتظار حتى يخرج، وهو ما يحدث من جفاة بني تميم كما سبق.

أما الآيات (٦ – ٨): فإنها تتناول قضية التثبت والعجلة، وسبب نزولها معروف.

والآيتان (٩، ١٠): جاءتا لمعالجة ما وقع من فتنة الاقتتال بين بعض الصحابة، وما يجب تجاه ذلك.

والآيات (١١ – ١٣): تناولت أمورا مهمة حدثت من بعض أفراد المجتمع المؤمن كالسخرية، واللمز والتنابز، وسوء الظن، والتجسس، والغيبة، والتفاخر بالأنساب.

وآخر المقاطع يشتمل على الآيات (١٤ – ١٧): فهي في قضية الإيمان والإسلام وأعراب بني أسد.

أما الآية (١٨): فإنها الضمانة لتلافي كل ما حدث، وما قد يحدث، فالإيمان بعلم الله وإحاطته، ورؤيته لعباده وما يعملون، كفيل بأن يجعل بين المؤمن وبين هذه الأمور التي سبق النهي عنها سياجا واقيا وحصنا مانعا.

ثالثا: إن من ملامح الوحدة الموضوعية في هذه السورة حديثها عن القلب، بل بناؤها للقلب العامر بالتقوى والإيمان، والتقوى درجة أعلى من الإيمان، لأن التقوى هي الإحسان، والإحسان كما في حديث جبريل غير الإيمان وأخص منه.

وهذه السورة يبرز فيها هذا الجانب من أول آية فيها حيث قال: **(وَاتَّقُوا اللَّهَ)** (الحجرات: من الآية١) إلى آخر آية فيها، وهي قوله – تعالى –: **(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** (الحجرات:١٨).

والإحسان كما في حديث جبريل: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [١]. وهذه حقيقة التقوى التي مكانها القلب.

وبين أول السورة وآخرها جاءت الآيات في عدة مواضع آمرة بالتقوى تصريحا وتلميحا، ومعتنية في بناء هذا القلب بناء لا تزعزعه المحن والأحداث.

كما جاءت الآيات لإزالة جميع العوائق التي تحول بين صفاء القلوب، ونقائها، كالسخرية واللمز، والتنابز، والغيبة، والتجسس. بل جاءت آمرة بتخليص القلوب مما قد يشوبها في داخلها فيفسد تقواها، كسوء الظن، والتفاخر، والمنة على الله، وكفى بها مفسدة للقلوب ومدمرة لها.

رابعا: ممن أشار إلى الوحدة الموضوعية للسورة من المفسرين قديما الرازي [٢] حيث قال: هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إمام مع الله تعالى أو مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو مع غيرهما من أبناء الجنس، وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها، وهو الفاسق. والداخل في طائفتهم، السالك لطريقتهم، إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم، فهذه خمسة أقسام.

أحدها: يتعلق بجانب الله -جل وعلا-.

ثانيها: يتعلق بجانب الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

ثالثها: بجانب الفساق.

رابعها: بالمؤمن الحاضر.

خامسها: بالمؤمن الغائب.

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه، ك/الإيمان، ب/ بيان الإيمان والإسلام، جـ١/٣٠ رقم الحديث٩ .

٢ - ونقلة عنه القاسمي في تفسيره ١٤٦/١٥، وانظر: تفسير الرازي سورة الحجرات ١١٨/٢٧.

فذكرهم الله تعالى في هذه السورة خمس مرات: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (الحجرات: من الآية١) وأرشدهم في كل مرة إلى مكرمة، مع قسم من الأقسام الخمسة فقال أولا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (الحجرات: من الآية١) وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم كان لبيان طاعة الله، لأنها لا تعلم إلا بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

وقال ثانيا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) (الحجرات: من الآية٢) لبيان وجوب احترام النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وقال ثالثا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) (الحجرات: من الآية٦) لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على أقوالهم، فإنهم يريدون إلقاء الفتنة بينكم، وبين ذلك عند تفسير قوله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) (الحجرات: من الآية٩).

وقال رابعا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) (الحجرات: من الآية١١) وقال: (وَلا تَنَابَزُوا) (الحجرات: من الآية١١) لبيان وجوب ترك إيذاء المؤمنين في حضورهم، والازدراء بحالهم ومنصبهم.

وقال خامسا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) (الحجرات: من الآية١٢) وقال: (وَلا تَجَسَّسُوا) (الحجرات: من الآية١٢) وقال (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) (الحجرات: من الآية١٢) لبيان وجوب الاحتراز عن إهانة جانب المؤمن حال غيبته، وذكر ما لو كان حاضر التأذي. وهو في غاية الحسن من الترتيب. فإن قيل: لم لم يذكر المؤمن قبل الفاسق [1] ؟ لتكون المراتب متدرجة، الابتداء بالله ورسوله، ثم بالمؤمن الحاضر، ثم بالمؤمن الغائب، ثم بالفاسق؟ نقول: قدم الله ما هو الأهم على ما دونه، فذكر جنب الله، ثم ذكر جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ذكر ما يفضي إلى الاقتتال بين طوائف

١ – ليس من باب الاعتراض أو الاقتراح . حاشا . ولكنه تساؤل قد يطرأ على بعض الأذهان، أو تستحسنه بعض الأفهام فأجاب عنه.

المسلمين بسبب الإصغاء إلى كلام الفاسق، والاعتماد عليه، فإنه يذكر كل ما كان أشد نفارا للصدور.

وأما المؤمن [1] الحاضر أو الغائب، فلا يؤذي المؤمن إلى حد يفضي إلى القتل، ألا ترى أن الله تعالى ذكر عقيب نبأ الفاسق آية الاقتتال، فقال: **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)** (الحجرات: من الآية٩)[2].

هذه أبرز ملامح الوحدة الموضوعية في هذه السورة، وهذا التصور للوحدة الموضوعية فيها، يسهل علينا فهمها وتناول موضوعاتها، ضمن سياق متناسق متجانس، يكمل بعضه بعضا.

❁❁❁❁❁

١ – لعلها: وأما ذكر المؤمن.

٢ – انظر: تفسير الرازي ١١٨/٢٧، وتفسير القاسمي ١٤٦/١٥.

المبحث الثاني
الأحكام الشرعية المتعلقة بسورة الحجرات

ورد في السورة بعض الأحكام الشرعية، وقد اختلف منهج المفسرين الذين تناولوا الأحكام التي وردت في هذه السورة، فمنهم من تناول الأحكام بتوسع، حتى جاء ببعض الأحكام التي لم ترد في السورة، وآخرون اقتصروا على ما ورد فيها مع الاختصار في عرضها وبيانها.

وانسجاما مع المنهج الذي ذكرته في المقدمة، فسأذكر أهم الأحكام التي وردت في السورة، أو تمت الإشارة إلى أصل موضوعها.

مع أن ما سأذكره لا يغني عن الرجوع إلى كتب الأحكام لمن أراد مزيدا من التوسع والتفصيل.

أ- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الحجرات:١) .

١- قال ابن العربي: هذه الآية أصل في ترك التعرض لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وإيجاب اتباعه، والاقتداء به، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في مرضه: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" فقالت عائشة لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف [١] وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء، فمر عليا - وفي مسلم فمر عمر - فليصل بالناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس" [٢]. قال ابن العربي: يعني بقوله: صواحب يوسف: الفتنة، بالرد عن الجائز إلى غير الجائز [٣].

---

١ - أسيف: حزين، وقيل: سريع الحزن والبكاء.

٢ - رواه البخاري في صحيحه، ك/الأذان، ب/ إذا بكى الإمام في الصلاة، جـ١/١٤٤ رقم الحديث٧١٦.

٣ - انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤-١٧١٣.

٢- وجوب تقوى الله في السر والعلن وأمر بالتقوى هنا، لأن التقدم بين يدي الله ورسوله إما حسي أو معنوي، ولا يعصم من ذلك إلا التقوى، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ب-قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) (الحجرات:٢).

١- حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا.

٢- ذكر بعض العلماء أن كلامه المأثور - بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم مثل كلامه المسموع من لفظه، من حيث وجوب الإنصات، وعدم جواز رفع الصوت عند من يتلو كلامه، كما لا يجوز الإعراض عنه.

واستدل هؤلاء بهذه الآية، وبقوله تعالى: **(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)** (لأعراف: من الآية٢٠٤) وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي، وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة، وبيانها كتب الفقه [١] وهذا القول فيه نظر، فإن لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرمة ما ليس لكلامه.

ولا يعني هذا أنه ليس لكلامه حرمة، كلا، ولكنه ليس كمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وحرمة شخصه.

ثم إن هناك فرقا بين حرمة القرآن وقدسيته وبين ما للسنة فمن الفروق بينهما:

أ- أن القرآن يتعبد بتلاوته، بخلاف السنة.

ب- أنه لا يجوز مس المصحف إلا طاهرا [٢] بخلاف كتب الصحاح.

---

١ - ممن قال بذلك ابن العربي، وذكره القرطبي ولم يعلق عليه، انظر أحكام القرآن لابن العربي ٤-١٧١٥، وتفسير ١٥-٣٠٧.

٢ - المسألة خلافية كما هو معروف، ولكن لا يختلف في وجوب الطهارة من الحدث الأكبر بالنسبة لمس المصحف.

جـ- أن الجنب لا يتلو القرآن بخلاف قراءة الأحاديث.

د- أنه تجوز رواية الأحاديث بالمعنى بخلاف القرآن.

إذا علم هذا علمنا أن الاستدلال بالآيتين على ما ذكر لا يسلم، مع أن للسنة مكانتها وحرمتها ووجوب العمل بها، وعدم جواز رد أي شيء منها، أو الاستهزاء بها.

٣- قال بعض العلماء: إن معنى قوله: **(وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ)** (الحجرات: من الآية٢) أي لا تخاطبوه: يا محمد، يا أحمد، ولكن يا نبي الله، ويا رسول الله، توقيرا له وتعظيما [١] وما ذكره العلماء هو في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أما بعد وفاته فلا يجوز دعاؤه – صلى الله عليه وسلم – كما يفعل المبتدعة والمشركون، وبخاصة عند قبره – صلى الله عليه وسلم. ولكن يستفاد مما ذكره العلماء، أنه لا يليق ذكر اسمه مجردا عن وصفه بالنبوة أو الرسالة، أو الصلاة عليه، صلى الله عليه وسلم حيث إن ذلك من الجفاء وسوء الأدب، مما يكون له تأثيره السيئ في نفوس السامعين، أو القراء، بينما يجب أن نربي الناس على حبه، وتعظيمه، وتوقيره، واحترامه مما يليق بمكانته الرفيعة –صلى الله عليه وسلم– وآله.

٤- ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر، ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة به صلى الله عليه وسلم لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون.

كما أن رفع الصوت بحضرته صلى الله عليه وسلم لحاجة تدعو إلى ذلك، وليس فيه أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه جائز، بل قد يكون صاحبه مأجورا، كالأذان، وأثناء الحرب لإخافة العدو، أو نداء المجاهدين من الصحابة، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العباس يوم حنين – عندما انهزم

١ – انظر: تفسير القرطبي ١٥-٣٠٦.

المسلمون – أمره أن ينادي في الناس، وفي بعض الروايات "اصرخ بالناس" وكان العباس أجهر الناس صوتا، فنادى بأهل الشجرة رضي الله عنه[١].

٥- كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره –صلى الله عليه وسلم– احتراما لمكانته وإجلالا له –صلى الله عليه وسلم[٢].

قال ابن كثير: قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته، لأنه محترم حيا وفي قبره صلى الله عليه وسلم وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا[٣].

جـ–قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) (الحجرات: من الآية٦).

١- قال ابن العربي: من ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعا، لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة تبطلها [٤] فأما في الإنسان على نفسه فلا يبطل إجماعا [٥].

٢- اختلف العلماء في ولاية الفاسق في النكاح – وليس هذا مكان بحث ذلك – ولكن الراجح ثبوت ولايته، وأن الفسق لا يسقطها [٦].

---

١ – انظر: تفسير القرطبي ١٥–٣٠٧، ، كنز العمال لابن عساكر ١٠–٥٤٥ .

٢ – انظر: تفسير القرطبي ١٥–٣٠٧ .

٣ – انظر: تفسير ابن كثير ٤–٢٠٧، وتفسير القاسمي ١٥–١١٣ .

٤ – استثنى من ذلك بعض المسائل مما يتعلق بالدعوى والجحود، وإثبات حق مقصور على الغير، ونحو ذلك، انظر: تفسير القرطبي ١٥–٣١٢.

٥ – انظر: أحكام القرآن ٤–١٧١٥.

٦ – انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤–١٧١٥، وتفسير القرطبي ١٥–٣١٢.

٣- إمامة الفاسق فيها تفصيل يطول، وخلاف بين العلماء، والراجح جواز إمامته، وصحة الصلاة خلفه، ولكن الأولى والأفضل عدم الصلاة خلفه إذا وجد غيره [١].

٤- في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلا لأنه إنما أمر بالتثبت عند نقل خبر الفاسق، وهذا دليل على قبول خبره - بدون تثبت - إذا كان عدلا.

ولا فرق في ذلك بين ما كان في العقائد وغيرها، وهذا منهج أهل السنة والجماعة، ولا يلتفت إلى قول غيرهم [٢].

أما الحدود والجنايات وبعض الأحكام كخروج رمضان - على الراجح - فإن النص قد حدد في كل مسألة ما تحتاج إليه من شهود.

٥- قال ابن العربي: أما أحكامه إن كان حاكما واليا فينفذ منها ما وافق الحق، ويرد ما خالفه، ولا ينقض حكمه الذي أمضاه بحال، ولا تلتفتوا إلى غير هذا القول، من رواية تؤثر أو قول يحكى، فإن الكلام كثير والحق ظاهر [٣].

٦- وقال أيضا: لا خلاف أنه يصح أن يكون رسولا عن غيره في قول يبلغه، أو شيء يوصله، أو إذن يعلمه، إذا لم يخرج عن حق المرسل والمبلغ، فإن تعلق به حق لغيرهما لم يقبل قوله، وهذا جائز للضرورة [٤] الداعية إليه، فإنه لو لم يتصرف بين الخلق في هذه المعاني إلا العدول لم يحصل منها شيء لعدمهم [٥] في ذلك [٦].

---

١ - انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤-١٧١٦.

٢ - انظر: تفسير القرطبي ١٥-٣١٢ .

٣ - انظر: أحكام القرآن ٤-١٧١٦ وتفسير القرطبي ١٥-٣١٢.

٤ - أي الضرورة العامة، لأنه قد يوجد من العدول، فلا يبطل الحكم.

٥ - الأولى: لقلتهم.

٦ - انظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٤-١٧١٦.

٧- قال الجصاص واتفق أهل العلم على جواز قبول خبر الفاسق في أشياء، فمنها أمور المعاملات يقبل فيها خبر الفاسق، وذلك نحو الهدية، إذا قال إن فلانا أهدى إليك هذا، يجوز له قبوله وقبضه، ونحو قوله: وكلني فلان ببيع عبده هذا فيجوز شراؤه منه، ونحو الإذن في الدخول إذا قال له قائل: ادخل، لا تعتبر فيه العدالة، وكذلك جميع أخبار المعاملات [١] وهذا القول قريب مما ذكره ابن العربي في الفقرة السابقة ذكرته إيضاحا وتأكيدا، وبخاصة أن أحدهما حكى الاتفاق والآخر نفى الخلاف.

د-قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي) (الحجرات: من الآية٩).

١- قال أبو بكر بن العربي: هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين [٢] والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة، وإياها عني النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "تقتل عمارا الفئة الباغية"[٣].

وقد أفاض الجصاص في الاستدلال على جواز قتال الفئة الباغية وذكر الأدلة ورد الشبهة في كل دليل ذكره المخالفون، وهو كلام نفيس بجملته، ولولا طوله والتزامي بعدم التفصيل لذكرته [٤].

٢- قتال البغاة له أحكام كثيرة، ذكرها الفقهاء والمفسرون، وفصلوا فيها، كبيان متى يكون قتالهم؟ وكيف ؟ وحكم القتال مع الإمام وهل هو فرض كفاية

---

١ - انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣-٣٩٩.

٢ - أي من البغاة ونحوهم، لأنهم مسلمون، ووجوب قتالهم لا يخرجهم من الإسلام.

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه، ك/الفتن، ب/ لا تقوم الساعة حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت، جـ١٨٦/٨ رقم الحديث٢٩١٦.

٤ - انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٣-١٧١٧، وأحكام القرآن للجصاص ٣-٤٠٠.

أو عين ؟ وحكم غنائمهم، وهل يؤخذ منهم أسرى؟ إلى غير ذلك من الأحكام التي يحتاج إليها في مثل هذه الأحوال، كفانا الله شر المحيج إليها.

٣- في هذه الآية والتي بعدها: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)** (الحجرات: من الآية١٠) دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله – تعالى – سماهم أخوة مؤمنين مع كونهم باغين، قال الحارث الأعور: سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الحجة والقدوة، سئل عن قتال أهل البغي: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا، [في رواية: من الكفر فروا].

فقيل: أمنافقون؟ قال: لا، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.

قيل له: فما حالهم ؟ قال: إخواننا بغوا علينا [١].

٤- لعل من المناسب أن أختم الحديث عن أحكام هذه الآية بكلام نفيس ذكره القرطبي في تفسيره فقال: لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به [٢] إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا الله عز وجل وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة، ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم [٣].

هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة أن طلحة شهيد، ومما يدل على ذلك ما صح وانتشر من إخبار علي بأن قاتل الزبير في النار.

وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، وإبطال فضائلهم، وجهادهم، وعَظِيم غنائهم في الدين –رضي الله عنهم –.

---

١ – انظر: تفسير القرطبي ١٥-٣٢٣.

٢ – أي لا نقطع بالخطأ في مكان الاجتهاد، أما إذا كان فعله خطأ مما ورد النص به فيجوز، لأن الصحابة ليسوا معصومين بآحادهم، وقد وقع بعضهم في أخطاء وأقيم على بعضهم الحدود.

٣ – وهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان لا جميعهم.

وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أريقت فيما بينهم فقال: **(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** (البقرة:١٣٤).

وسئل بعضهم عنها –أيضا– فقال: تلك دماء قد طهر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني، يعني من التحرز من الوقوع في خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه.

قال ابن فورك: ومن أصحابنا من قال: إن سبيل ما جرى بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين أخوة يوسف مع يوسف، ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا، قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل إذ كانوا غير متهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق [1].

هـ–قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ) (الحجرات: من الآية١١).

١– حرمة السخرية بالمسلم بل وغيره مما لا تجوز السخرية به، قال الجصاص، نهى الله بهذه الآية عن عيب من لا يستحق أن يعاب على وجه الاحتقار له، لأن ذلك هو معنى السخرية، فإن كان معيبا فاجرا فعيبه بما فيه جائز.

---

١ – انظر: تفسير القرطبي ١٥–٣٢١، وقد نقلت هذا الكلام لأهميته، ولأننا نسمع من يتكلم في صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويقول: هم رجال ونحن رجال، نعوذ بالله ما يفعله السفهاء منا.

روي أنه لما مات الحجاج قال الحسن: اللهم أنت أمته فاقطع عنا سنته، فإنه أتانا أخيفش أعيمش، يمد بيد قصيرة البنان، والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله، يرجل جمته، ويخطر في مشيته، ويصعد المنبر فيهذر حتى تفوته الصلاة، لا من الله يتقي، ولا من الناس يستحي، فوقه الله، وتحته مائة ألف أو يزيدون، لا يقول له قائل: الصلاة أيها الرجل، ثم قال الحسن: هيهات والله [١] حال دون ذلك السيف والسوط [٢].

قال القاسمي: وكل هذا يرجع إلى استحقاق الغير، والضحك عليه، والاستهانة به، والاستصغار له، وعليه نبه بقوله – تعالى –: **(عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ)** (الحجرات: من الآية١١) أي: لا تستحقره استصغارا، فلعله خير منك، وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به، فأما من جعل نفسه مسخرة، وربما فرح من أن يسخر به، كانت السخرية في حقه من جملة المزح، ومنه ما يذم [٣] وما يمدح.

وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به، لما فيه من التحقير والتهاون، وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه، ولم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة، كالضحك على حفظه، وعلى صنعته، أو على صورته وخلقته، إذا كان قصيرا أو ناقصا، لعيب من العيوب، فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها [٤].

٢– حرمة التنابز بالألقاب وهو التداعي بما يكره منها، فإن الألقاب على ثلاثة أنواع:

---

١ – أي هيهات أن يجرؤ أحد على أن يقول له ذلك، كأنه يعتذر للناس في زمان الحجاج لسكوتهم عن الإنكار.

٢ – انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣–٤٠٤.

٣ – هذه نفيسة فالزمها.

٤ – انظر: تفسير القاسمي ١٥–١٢٦.

١- قسم يكرهه الإنسان ويبغضه، وهو ما يعير به، فهذا يحرم التسمية به أو النداء. بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ألقاب بعض أصحابه وأسماءهم، فسمى العاص: عبد الله، وشهابا: هشاما، وسمى حربا سلما.

وهذا هو المراد بالآية: **(وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ)** (الحجرات: من الآية١١).

٢- قسم يحبه صاحبه كأبي تراب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم به.

قال سهل بن سعد: ما كان اسم أحب إلى علي أن يدعى به من أبي تراب. فهذا لا يكره.

٣- وقسم غلب عليه الاستعمال، كالأعرج والأحدب، ولم يكن لصاحبه فيه كسب يجد في نفسه منه عليه، قال ابن العربي: فجوزته الأمة، واتفق على قوله أهل الملة.

قلت: بشرط ألا يقصد قائله التعيير واللمز ونحوه، قال ابن العربي: والذي يضبط هذا كله ما قدمناه من الكراهة لأجل الأذية [١]. قال القرطبي: وعلى هذا المعنى ترجم البخاري – رحمه الله – في كتاب الأدب من الجامع الصحيح في (باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل والقصير لا يراد به شين الرجل) قال: وقال النبي – صلى الله عليه وسلم: "ما يقول ذو اليدين" [٢]. قال أبو عبد الله بن خويز منداد: تضمنت الآية المنع من تلقيب الإنسان بما يكره، ويجوز تلقيبه بما يحب، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لقب عمر بالفاروق، وأبا بكر بالصديق، وعثمان بذي النورين، وخزيمة بذي الشهادتين، وأبا هريرة بذي الشمالين، وبذي اليدين، في أشباه ذلك.

---

١ – انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣-٤٠٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤-١٧٢٣.

٢ – صحيح البخاري، ك/الأدب، ب/ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل والقصير، جـ١٦٣/٥.

قال الزمخشري: ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن، قال عمر رضي الله عنه أشيعوا الكنى فإنها منبهة.

ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله، وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها – من العرب والعجم – تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير.

قال الماوردي: فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجل الألقاب. قال القرطبي: فأما ما يكون ظاهرها الكراهة إذا أريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير.

وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول: حميد الطويل، وسليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصغر، فقال: إذا أردت صفة ولم ترد عيبة فلا بأس به.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت الأصلع –يعني عمر– يقبل الحجر، وفي رواية: الأصيلع [1].

و–قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) (الحجرات: من الآية١٢).

١– الظن على أربعة أضرب: محظور، ومأمور به، ومندوب إليه، ومباح.

فأما الظن المحظور: فهو سوء الظن بالله، روى جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل" [2].

---

١ – صحيح مسلم، ك/الحج، ب/تقبيل الحجر الأسود في الطواف، جـ٤/٦٦ رقم الحديث١٢٧٠، وانظر: تفسير القرطبي ١٥–٣٢٩.

٢ – أخرجه مسلم في صحيحه، ك/الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب/ الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، جـ٨/١٦٥ رقم الحديث٢٨٧٧.

وكذلك من الظن المحظور: سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة، وهذا هو المراد بالآية، وكذلك ما يشمله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابت في الصحيحين، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" [١].

قال الجصاص: وكل ظن فيما له سبيل إلى معرفته، مما تعبد بعلمه فهو محظور، لأنه لما كان متعبدا تعبد بعلمه ونصب له الدليل عليه فلم يتبع الدليل وحصل على الظن كان تاركا للمأمور به. [٢]

وأما المأمور به: هو ما لم ينصب له عليه دليل يوصله إلى العلم اليقيني به، وقد تعبد بتنفيذ الحكم فيه، فالاقتصار على غالب الظن وإجراء الحكم عليه واجب، وذلك نحو ما تعبدنا به من قبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وتقويم المستهلكات، وأرش الجنايات التي لم يرد بمقاديرها توقيف، فهذه وما كان من نظائرها قد تعبدنا فيها بتنفيذ أحكام غالب الظن. [٣].

وأما الظن المندوب إليه: فهو حسن الظن بالأخ المسلم، فإن قيل: إذا كان سوء الظن محظورا فواجب أن يكون حسن الظن واجبا، قيل له: لا يجب ذلك لأن بَيْنَهُمَا واسطة، وهو أن لا يظن به شيئا، فإذا أحسن الظن به فقد فعل مندوبا إليه[٤].

وأما الظن المباح فالشكاك في الصلاة يجوز له أن يعمل بما غلب على ظنه، ويجوز له أن يبني على اليقين. [٥].

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه، ك/الأدب، ب/ما ينهى عن التحاسد والتدابر، جـ٨/١٩ رقم الحديث٦٠٦٤.

٢ – انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣-٤٠٦).

٣ – انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣-٤٠٦).

٤ – انظر: أحكام القرآن للجصاص٣-٤٠٦.

٥ – هكذا قال الجصاص ٣-٤٠٦، والمسألة فيها تفصيل ليس هذا مكانه.

٢- حرمة التجسس وتتبع العورات وهذه الآية نص في ذلك، وقد ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال – صلى الله عليه وسلم "ولا تحسسوا وَلا تَجَسَّسُوا" [١]. والتحسس والتجسس معناهما متقارب وحكمها واحد، وقد قرئ في الشواذ "ولا تحسسوا" بالحاء وممن قرأ بذلك: أبو رجاء والحسن وغيرهما.

ومعنى الآية: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله. [٢].

٣- حرمة الغيبة، وقد ثبت تحديدها في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال لأصحابه: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته" [٣].

٤- ذهب قوم إلى أن الغيبة لا تكون إلا في الدين، ولا تكون في الخلقة والحسب، وقالوا: ذلك فعل الله به. وذهب آخرون إلى عكس ذلك فقالوا: لا تكون الغيبة إلا في الخلق والخلق والحسب، والغيبة في الخلق أشد، لأن من عاب صنعة فإنما عيب صانعها، قال القرطبي: وهذا كله مردود.

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه، ك/الأدب، ب/ما ينهى عن التحاسد والتدابر، جـ٨/١٩ رقم الحديث٦٠٦٤.

٢ – انظر: تفسير القرطبي(١٥-٣٣٢).

٣ – تفسير القرطبي (١٥-٣٣٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، ك/البر والصلة والآداب، ب/تحريم الغيبة، جـ٨/٢١ رقم الحديث٢٥٨٩.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

١- اتضح لنا خطورة التقدم بين يدي الله ورسوله، وأن صور هذا التقدم ليست محصورة في معنى دون آخر، بل هو شامل لكل ما يمكن أن نطلق عليه تقدما، حسا أو معنى، وأشد أنواع التقدم بين يدي الله ورسوله.

٢- الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دين يجب أن يلتزم به المسلم في حياة رسول الله، صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، وقد رسمت لنا هذه السورة شيئا من ذلك.

ومن الأدب معه، صلى الله عليه وسلم الأدب مع العلماء وتوقيرهم والاعتراف بفضلهم وسابقتهم، لأنهم هم الذين يحملون ميراث النبوة، لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وقد أفضت بهذا الموضوع بما يكفي ويشفي.

٣- لا يمكن أن تستقيم الحياة وتصفو من أكدارها إلا بالتقوى، ولن يحقق المرء مراد ربه إلا إذا تعاهد قلبه وأخلصه لله، وقد رأينا عناية هذه السورة بالقلوب وتقواها، تصريحا وإيماء، عبارة وإشارة: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ)** (الحجرات: من الآية٣).

٤- الإشاعة داء قاتل، وقالة السوء لا تتوقف عند حد، والكذب قد فشا سوقه وراجت بضاعته، وفي الموضوع الرابع من موضوعات سورة الحجرات وقفنا عند المنهج الشرعي في نقل الأخبار والتثبت منها: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)**(الحجرات: من الآية٦) وتوصلنا إلى نتائج مهمة، وقواعد شرعية تقطع دابر الكذب وتلغي أثره، وترد أصحابه على أعقابهم خاسرين.

٥- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(الحجرات: من الآية١٠) ما أعظمها من آية، إنها البلسم الشافي وسط عالم يموج بالتقاطع والتدابر، ويمسي ويصبح على القتال والتناحر، إن الأخوة الإيمانية منهج رباني متى ما وعاه المسلمون فقد صلحوا وأفلحوا، بينت في ذلك المبحث الأسباب المقربة والمبعدة وفصلت هناك فيما يحقق الأخوة والمحبة، ويدرأ دابر التنابذ والخصام (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (الحجرات: من الآية١٠).

٦- إن مبحث الإسلام والإيمان مبحث طويل، تناوله العلماء بالتحقيق والتدقيق، وبينوا متى يجتمعان ومتى يفترقان.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الجامع لأحكام القرآن،** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: ٦٧١هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
- **صحيح البخاري،** للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ضبطه ورقمه: د مصطفى ديب البغا، نشر وتوزيع دار ابن كثير، اليمامة، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري،** للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٧٧٣ – ٨٥٢هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، وراجعه: قصى محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، القاهرة.
- **صحيح سنن أبي داود،** تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **صحيح مسلم بشرح النووي،** ت: خليل مأمور شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة جديدة ومنقحة، ١٤١٥هـ.
- **سنن ابن ماجة**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد (ابن ماجة) القزويني، المتوفى سنة ٢٧٣هـ، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية.
- **سنن أبي داود**، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، ت: محمد محيي الدين الخطيب المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
- **السنن الكبرى**، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- **المصنف في الأحاديث والآثار**، للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي المتوفى سنة ٢٣٥هـ ت: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- **لسان العرب**، للإمام العلامة ابن منظور، المتوفى سنة ٧١١هـ، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

References:

- **alquran alkarim**.
- aljamie li'ahkam alqurani, li'abi eabd allah muhamad bin 'ahmad al'ansarii alqurtabi, ti: 671hi, dar alkutub aleilmiat bayrut – lubnan, altabeat alkhamisati, 1417h.
- shih albukharii, lil'iimam 'abi eabd allah muhamad bin 'iismaeil albukharii aljueafi, dabtuh waraqmihi: d mustafaa dib albugha, nashr watawzie dar aibn kathir, alyamamatu, bayrut – lubnan, altabeat alkhamisati, 1414h.
- fath albari bisharh sahih albukhari, lilhafiz 'ahmad bin ealiin bin hajar aleasqalani, 773 – 852hi, raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithihi: muhamad fuad eabd albaqi, waqam bi'iikhrajih watashih tajaribihi: muhibu aldiyn alkhatibi, warajieah: qasaa muhibi aldiyn alkhatibi, dar alrayaan liltarathi, altabeat althaaniati, 1407hi, alqahirati.

- shih sunan 'abi dawud, talifu: muhamad nasir aldiyn al'albani, maktabat almaearif lilnashr waltawziei, alriyad, altabeat al'uwlaa, 1419hi.
- shih muslim bisharh alnawawii, ti: khalil mamur shiha, dar almaerifati, bayrut – lubnan, altabeat alraabieati, 1418hi.
- eumdat alqariy sharh sahih albukhari, lil'iimam badr aldiyn 'abi muhamad mahmud bin 'ahmad aleayni, almutawafaa sanat 855ha, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut – lubnan.
- silsilat al'ahadith alsahihati, washay' min fiqhiha wafawayidiha, talifi: muhamad nasir aldiyn al'albani, maktabat almaearif lilnashr waltawziei, alriyad, tabeatan jadidatan wamunaqahatan, 1415h.
- sunan abn majata, li'abi eabd allh muhamad bin yazid (abn majat) alqazwini, almutawafaa sanatan 273hi, aetanaa bih fariq bayt al'afkar alduwliati.

- sunan 'abi dawud, lil'iimam alhafiz sulayman bin al'asheath alsajistanii al'azdi, almutawafaa sanat 275h, t: muhamad muhyi aldiyn alkhatib almaktabat aleasriat – sayda – bayrut.
- alsunan alkubraa, lil'iimam 'abi bakr 'ahmad bin alhusayn bin eali albayhaqi, almutawafaa sanat 458h, ti: muhamad eabd alqadir eataa, dar alkutub aleilmiati, bayrut – lubnan, altabeat al'uwlaa, 1414hi.
- almusanaf fi al'ahadith walathar, lilhafiz 'abi bakr eabd allh bin muhamad bin 'abi shaybat alkufii aleabsii almutawafaa sanat 235hi ti: mukhtar 'ahmad alnadwy, aldaar alsalafiatu, alhinda, altabeat al'uwlaa, 1402hi.
- lisan alearabi, lil'iimam alealaamat aibn manzuri, almutawafaa sanat 711h, tashihu: 'amin muhamad eabd alwahaabi, muhamad alsaadiq aleubaydiu, dar 'iihya' alturath alearabii, wamuasasat altaarikh alearabii, altabeat althaaniat 1417h.